نقطة الصفر
ZERO POINT

مقال بعنوان

"الفوضى المعرفية"

الدكتور عماد الدين خضر

Follow us
@ZeroPointEESD

الفوضى المعرفية - بين شجرة المعرفة ومتاهة الشاشات

حاولت جهدي في هذا المقال أن أوصل فكرتي بطريقة علمية سلسة، محاولاً التدرج تشخيصاً ثم تحليلاً وصولاً الى الأثر النفسي والعملي لموضوع هام يترامى بين عنوانين:

" التصفح العشوائي واستنزاف العقل " وبين "البناء المعرفي الهادف."

فعندما يلتهم التصفح العشوائي وعينا في عالم غرق في بحار البيانات، نجد أنفسنا أمام مفارقة عجيبة؛ فالأصل في رحلة الإنسان مع المعرفة أن يبدأ بفكرة، بذرة بسيطة في عقله، يرعاها بالبحث الجاد والتعمق الصادق حتى تنمو وتغدو شجرة معرفية متكاملة الأغصان، تضيف لعقله نوراً ولإدراكه عمقاً.

غير أن الواقع الذي نعيشه اليوم يمضي في اتجاه آخر تماماً، ألخصه في أربعة عناصر:

1. التنبيش الرقمي والتشتت الهادف:

أصبح معظمنا يقع في مصيدة " التنبيش غير المبرر" عبر منصات التواصل الاجتماعي. نقضّي الساعات في تقليب الصفحات بلا هدف محدد، ولا فائدة علمية أو ثقافية تُذكر. ليس ما نفعله بحثاً عن معرفة تُنمّي الجانب الإدراكي، بل هو مجرد تنقل عشوائي وتشتت بين صفحات لا تقدم – في معظمها – إلا محتوى خالياً من النور، وهروباً ناعماً يُضيّع العمر بلا مبرر.

2. التلوث الإخباري وفقدان الأمل:

وليت الأمر يقف عند ضياع الوقت، بل إن المتابعة المستمرة للجوانب الإخبارية والتحديثات المتلاحقة أضحت عاطفة مجهدة، لا تثمر في النفوس إلا مزيداً من القنوط، وتغذية شعور العجز واليأس.

3. أزمة الوفرة وتضليل اليقين:

حتى عندما نحاول الخروج من دائرة العبث والرغبة في الوصول إلى معلومة نافعة – كالبحث في موضوع طبي أو صحي – نجد أنفسنا في ضبابية أكبر؛ فكثرة المعروض وتضارب الآراء واختلاف الجوهر بين موضوع وآخر تجعل الوصول إلى "حقيقة مطمئنة " أمراً شبه مستحيل.

4. التوهان في السوق الرقمي:

يمتد هذا الضياع من عالم الأفكار إلى عالم الاحتياجات اليومية والسلع:

فقدان الثقة: إن أردت البحث عن مركز طبي متمرس (كعيادة للعيون مثلاً)، حاصرتك الإعلانات التسويقية التجارية لتفقدك الثقة في المصداقية.

حيرة الخيارات: وإن حاولت شراء أدوات بسيطة للمطبخ، أغرقك الفيضان الرقمي بكثرة المعروض وتفاوت مستوياته حتى يتملكك الشك.

صدمة الجودة والتكلفة: وفي ظل الظروف الاقتصادية الضاغطة، وبينما تبحث عن الخيار الأوفر، تصطدم أحياناً ببضائع هابطة السعر لدرجة تُثير الريبة والدهشة، وتجعلك تتساءل: كيف لسلعة أن تُباع بسعر لا يغطي حتى تكلفة إنتاجها؟

الخلاصة:

إن المتاهة الرقمية لم تعد تسرق أوقاتنا فحسب، بل أربكت قدرتنا على التمييز، وزعزعت طمأنينتنا في الاختيار، وأحالت السعي الإنساني الفطري نحو المعرفة واليقين إلى حالة مستمرة من التشتت والشك والقلق، فوقعنا في فخ الشاشات، وتحولنا بسبب التصفح العشوائي من بناة معرفة إلى غارقين في الشك !

واقتراحي في هذا المقام – بكل بساطة - محاولة تحديد وقت للبحث الهادف، والعودة للقراءة المنهجية في الكتب، فهي النور وهي الأصل الذي تربينا عليه.